

الطقوس الجنائزية بين سلطة التقاليد المحلية وجبروت النص عند السلفيين (دراسة ميدانية)

The funeral rituals between authority of local traditions and the power of the text of the Salafis. (A field study).

الجيلالي رقاد، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

djalilrekad13@gmail.com

ملخص:

تهدف دراستنا إلى محاولة فهم النزاع والتصادم المعرفي الذي يحيله الشباب السلفي داخل المجتمع في تفسير بعض الممارسات الطقوسية الجنائزية، التي أضحت تنم عن ذلك الصراع الذي تفرضه الظروف الاجتماعية والدينية مع التحولات الراهنة لأنماط التدين، وبروز المرجعية السلفية باعتبارها أكثر التيارات رفضا لهذه الطقوس والممارسات الجنائزية، التي تصفها بالبدعة والخرافة كوصف شامل، في حين أنه لا يمكننا فصل الإسلام عن المسار الأنثروبولوجي، لأنه بمثابة ظاهر دينية لها مسيرتها التي فرضت ذلك التداخل بين تعاليمه والسير الثقافي، من خلال الأحداث والمجريات التاريخية التي تكشف عنها الطقوس الجنائزية، التي تعطي مدلولها بالرسوخ والتداخل في مختلف تشكيلات المجتمع البنيوية والوظيفية، التي تظهر في ممارسات الأفراد والجماعات لهذه الطقوس.

الكلمات المفتاحية: السلفية؛ الطقوس الجنائزية المحلية؛ هابتوس البدعة؛ فقه الدليل.

Abstract:

Our study aims to try to understand the conflict and the knowledge collision between Salafi individuals in the interpretation of some funeral rituals practises, which reflect the conflict imposed by the social and religious conditions associated with the practices of groups formed to coordinate the society, and the emergence of Salafist reference, which is considered one of the most current reject of these rituals and social practises which it describes as heresy and superstition as comprehensive description While ,we can not seperate Islam from the

anthropological path because it is the same as a religious phenomenon that has its path which imposed the overlap between its teaching's and the cultural process through the historical events which are revealed by the fungal rituals which give meaning to the entrenchment and overlap in various structural and functional formations of society which appear in the practices of individuals and groups for these rituals.

key words: Salafism , Local fungal rituals, Habitus the heresy, Jurisprudence guide.

مقدمة:

تعتبر الطقوس الجنائزية من أكبر الأمور التي عكف الانسان على إقامتها منذ بدأ التاريخ البشري، حيث تختلف هذه الطقوس بمضمونها من منطقة لأخرى، حسب أنماط التفكير والبيئة الثقافية، وهي بمثابة ثقافة إنسانية عرفها الانسان بمعرفته للموت، فقد بدأ يحاول إقامة هذه الطقوس لغايات عديدة يعتقدها، كإرضاء الآلهة أو إعانة الميت على قضاء المغفرة له في الحياة الأخرى، وقد لجأ الكثير من الأنثروبولوجيين والباحثين لمعرفة أبعاد هذه الظاهرة، في محاولة للكشف عن الغموض الذي يكتنفها.

ونقصد بالطقوس الجنائزية كل ما يتعلق بدائرة الأموات، من الاحتضار إلى غاية ما بعد الدفن بكيفياته ووضعيته، إلى جانب الترتيبات الجنائزية، ومجموع الامور المتعلقة بهم، التي يشتغل الأحياء بإقامتها، أما من الناحية الدينية وارتباط الطقوس الجنائزية بالفكر الديني الذي أعطى لها أبعادا لم يعرفها الانسان البدائي القديم، حيث قام بتفسيرها تفسيراً دقيقاً، ومحاولة ضبطها ومنع الاعتقادات المرتبطة بها، وذلك من خلال تقنين تلك الطقوس والمراسيم التي يستخدمها الأفراد في مراسيم الموت، باعتبار أن التفسير الديني يتعامل مع الطقوس الجنائزية خارج التراكم الثقافي والانساني، عبر التقيد بنصوص إبستمولوجية لاهوتية لا تعترف سوى بالتفسير الإلهي المبني على ما تفضي به نصوصها وعقيدتها من القطعيات الدينية، دون مراعات امتدادها في جذورها التاريخية والانسانية والثقافية، وعدم الاعتراف بها كموروث تراكمي.

لكن رغم ما قامت به الديانة الاسلامية من بسط نفوذها على أفهام الناس والمجتمعات المرتبطة بعقيدتها المحددة في مسألة الجنائز وشعائرها، إلا أن هذه الطقوس لم يستطع الأفراد التخلي عنها، فهي متجذرة في الوعي واللاوعي الانساني المستमित تحت طائلة

ثقافته تارة ومهابته من الموت تارة أخرى، الذي يقوم فيه بالصاق هذه الطقوس بجنازته ومراسيمها، التي يعدها كقربان للإله وما يفعلونه من الشعائر التي يراها مكفرة ومجزئة عن الميت، بتأدية تلك الطقوس كما ورثوها، والتي تتجلى عند حدوث كل جنازة، من هنا يطرح مشكل الصراع القائم على هذه الطقوس الجنائزية مع الفكر الديني السلفي، الذي يرى أنها بدعة في الدين لم يقرها النبي صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح، ويعتبرونها خروجاً على منطق الوحي الذي يدين به الأفراد، وأن هذه الطقوس الزائدة إحداه في الدين الذي يرسم هنا خط يفصل بين السنة والبدعة التي قد تصل بصاحبها إلى حد الخروج عن العقيدة الدينية باعتقاده أن هذه الطقوس المحدثه من الإسلام، وتقوم مظاهر الجناز على عدة طقوس لها ارتباط متدرج منذ حدوث الوفاة والمسارعة إلى نعي الميت بين أهله وأقاربه والمجتمع إلى غاية الأربعين يوماً بعد الموت، التي تعد آخر مراسيم الجنازة، ناهيك عن الزيارات في الأعياد والمواسم التي يتذكره فيها أهله.

فالإسلام السلفي من خلال جهازه الفقهي المتعلق بطقوس الجناز، يحاول منع تلك الممارسات التي يرى أنها مبتدعة والاستفاضة في شرح وتبرير العلل والأسباب التي أدت إلى إرساء هذه التقاليد الاجتماعية الممتدة في السمات الثقافية والتاريخي للمجتمع، التي يرى أنها كرمز عن الماضي المظلم المرتبط بالطقوس والخرافات التي تعبر عن الخلط بين الديني والثقافي والتاريخي الموروث، من خلال إدخالها كمنظومة يتمهاهي معها الأفراد من أجل إحياء تلك الترتيبات الجنائزية التي يرى الأفراد أنها ملزمة دينياً، فهي بهذا الشكل تمارس بمنطق مرتبط بالدين أساساً، في حين أن أغلب ممارساتها ليس لها صلته بتعاليمه، بل هي تقاليد وضعية مأسسة على الموروث الثقافي والاجتماعي المتغلغل في الوعي واللاوعي المبني بالدرجة الأولى على بنية ذهنية يتمهاهي والسمت السوسيوثقافي وتمارس نفسها كقهر اجتماعي، حسب رفض وقبول المجتمع لها من خلال ارتباطها بالديني.

ولكن مع بروز التدين السلفي الصارم في المجتمع الجزائري وتبنيه لتلك الأدبيات والأطروحات التي يسعى من خلالها إلى محاكمة الواقع، بنعت الممارسات الجنائزية بالبدعة والظلاله في مختلف تفسيراته المرتبطة بالنص الديني من القرآن والسنة النبوية وخروجه في مختلف خطاباته عن السمات الاجتماعية والثقافي للمجتمع، إنه يتبنى مشروع الجمعية «جمعية العلماء المسلمين» ويعتمد عليه، ويجعل السلفي من نفسه أنه الممثل الحقيقي لها، عبر نيد ورفض مضمون كل الممارسات التي ليس لها أي علاقة بالدين الإسلامي، الذي أضفى على الوجود الانساني قوننة تلك الطقوس التي تحكمها بنية من الدلالات والمعاني الثقافية التي توجه الأفراد، ويروا أنهم يتعبدون بها الله وصدقته تجزء عن الميت. هنا السلفية تسعى

الفصل بين ما هو ديني يتعبد به، وما هو ثقافي وديني مبتدع، بمنطق تفكيك تلك العادات والتقاليد المسيطرة على أفعال وممارسات ومعتقدات المجتمع، وإدخال القانون الذي تعتمد السلفية على مستوى تشريح تلك الطقوس ومقارنتها بمضمون النصوص الدينية الإسلامية، وإعطائها تلك الصبغة التي تتقيد بها من المسموح والمحظور «الحلال والحرام»، الذي تحكم به عليها داخل جهازها الفقهي، الذي تمارسه على الطقوس في المجتمع. من هنا نطرح السؤال المحوي الآتي:

كيف يتمثل السلفيين الطقوس الجنائزية المتلازمة مع سلطة التقاليد؟

وماهي إشكالات القطيعة بين التدين السلفي والطقوس الجنائزية في المجتمع المحلي؟

الفرضيات: من خلال الأشكال المطروح حددنا الفروض التالية التي تعتبر لدينا كحل مؤقت :

- استحكام فقه الدليل لدى الفرد السلفي، هو الدافع في القطيعة مع الطقوس الجنائزية المحلية.

- استحكام هابتوس البدعة لدى السلفي، هو الدافع لإعادة إنتاج الطقوس الجنائزية المضمون الأصلي.

ضبط وأجراً المفاهيم: إن تحديد المفاهيم يعتبر من الخطوات الرئيسية في البحوث ذات المنحى السوسولوجي، التي يستند عليها الباحث في إعطاء صورة واضحة في مسار دراسته، وكانت مفاهيم بحثنا كالآتي:

السلفية: يعود مصطلح السلفية في اللغة إلى جذر السلف وفي المعاجم العربية مادة السلف، السالف المتقدم، والسلفية الجماعة المتقدمون، ويقصد بها عند إطلاقها العصور الأولى من الإسلام بفرض أنها تمثل الوجه الناصع والصحيح مثال أحكام الدين وتشريعاته وتطبيقاته¹ والمراد بالسلف هم الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة الأولى، فأصبح منهج السلف علما على ما كان عليه هؤلاء ومن تبعهم من الأئمة، ك«الأئمة الأربعة» «وسفيان الثوري» «والليث بن سعد» «وعبد الله بن المبارك» «والبخاري ومسلم» وسائر أصحاب السنن الذين اتبعوا طريق الأوائل جيلا بعد جيل دون من وصف بالبدعة كالخوارج والشيعة والمرئية والقدرية والمعتزلة وغيرهم²، ويعرفها البعض على أنها "نزعة احتجاجية على التطورات التي طرأت على مستويين من المستويات الأساسية للدين الفكري والتعبدي، إذ تبلورت النزعة الاحتجاجية السلفية تاريخيا من دون أن تطلق على نفسها مصطلح السلفية³، إذا فالسلفية

بهذا الشكل تأسست، كمحاولة لإعادة الاسلام الى النبع الصافي والنقاء والطهوية بإعادة تقنين العقائد والشعائر الدينية على المصادر التي جعلتها عنوان لدعوتها الكتاب والسنة على فهم سلف الامة.

الفرد السلفي: هو كل فرد يلتزم بأوامر ونواهي الدين ويتمثل المعتقد السلفي ويتماهى معه ويبنى عليه كل ما يقوم به من الأفكار والتصورات والسلوكيات والمحافظة على شعائره في العقيدة والمعاملات والعبادات وحتى المظهر واللغة وغيرها، في إطار ما تحدده مرجعيته التي يستقيها من الفكر السلفي .

الطقوس الجنائزية المحلية : هي جميع الممارسات والترتيبات التي تحدث أثناء وبعد الموت التي تكون في شكلها التقليدي والمحلي، الذي يبرز مجموعة الاحداث والمجريات التي يقوم بها الاحياء تجاه الجنازة منذ حدوث الاحتضار الى غاية الطقوس الأخير التي تكون فيها الاربعين، التي تسري وفق العادات والتقاليد، وتندرج ضمن مجال الحياة الاجتماعية، وذلك أن الطقوس الجنائزية تعتبر أحد أقوى الترسبات الثقافية والاجتماعية المعترف بها والمتعارف عليها، كما أنها لا تجتمع في مأتم واحد دائما، ولكن تختلف من منطقة إلى أخرى وتنتشر بشكل قوي في القرى والأرياف التي تعتمد على مسوغات عرفية وسوسيوثقافية ينظرون إليها أنها من الدين، وارتباطهم بها في مختلف الطقوس الجنائزية وتختلف شدة تطبيقها من جماعة لأخرى، حسب معرفة الناس وجهلهم بها مما يعطي لها الاستساغة والترسخ من جيل لأخر وذيوعها بين أفراد المجتمع.

هابتوس البدعة: هو ذلك الاستعداد الذي تشكله البدعة في العقل السلفي لأي تابع يتعامل مع الواقع، وفق ما تحدده تلك الاستعدادات في السمات الذي يرفض أي ممارسة أو طقس خارج عن النطاق السلفي، نتيجة استحكامه لمجموعة من الرؤى المنهجية والاعتقادية للبدعة، المبنية على عدة اعتبارات فقهية، يستفيض بها التدين السلفي في شرح البدع وتقسيمها، إذ أن "هناك البدع العملية والبدع الاعتقادية والبدع القولية"⁴، إلا أن جميعها تدخل ضمن نص النبي صلى الله عليه وسلم وبقوله "كل بدعة ضلالة"⁵، وهنا يرد السلفية التقسيم الذي يرى أن هناك بدع حسنة وقيحة، وهذا بالاستناد إلى عدم بيان الدليل من النصوص الشرعية ويفرق السلفية بين البدعة الدينية وغيرها المرتبطة خارج السياق الديني، لأن المرفوض حسيم ما تعلق بالشرع والدين.

فقه الدليل: هو ما يطلق عليه في الادبيات السلفية المنهج الاستدلالي «النصوصية» والفهم السلفي، وفق محددات ممنهجة بأدبيات الرؤية السلفية، حيث لا يمكن أن نحصر رفض السلفيين للطقوس والممارسات الجنائزية في النصوص وحدها، دون أن تنتقل لتلك السلطة

الأخرى التي أصبحت توازي النص وتتعداه أحيانا كدليل، وهي "سلطة السلف" التي يجب الالتزام بفهمهم، وهذا ما نلاحظه من خلال القراءات السلفية المتعددة لقلب هذه الموازين الطقوسية عبر إقامة تموضع حول محددات ممنهجة بأسلوب فقهي مبني على ما تضعه الشريعة الإسلامية «النص والسلف» والزامية النص بفهم السلف، التي يقررها المنهج السلفي، لترسم العقل وفق مسار العمل بالدليل الذي يبسطه السلفين على أي ممارسة داخل المجتمع لإرجاعها للمضمون الأصلي.

المقاربة النظرية: لا يمكن إجراء بحث سوسيولوجي دون التموضع في توظيف النظرة الاقتراعية للموضوع، وعليه فقد اشتملت دراستنا على موضوعة الاقتراب النظري لـ« بيار بورديو» حول «نظرية الممارسة» التي تقوم على مجموعة من المفاهيم، التي قادتنا إلى فحص الظاهرة المدروسة بالتماشي مع هذه النظرية، فهي تقوم على المفاهيم التالية: «التفاعل الاجتماعي»، «الهابتوس»، «الاستراتيجية»، «إعادة الإنتاج»، «السلطة الرمزية»، «العنف الرمزي»، «الهيمنة»، «وراس المال المادي والثقافي».

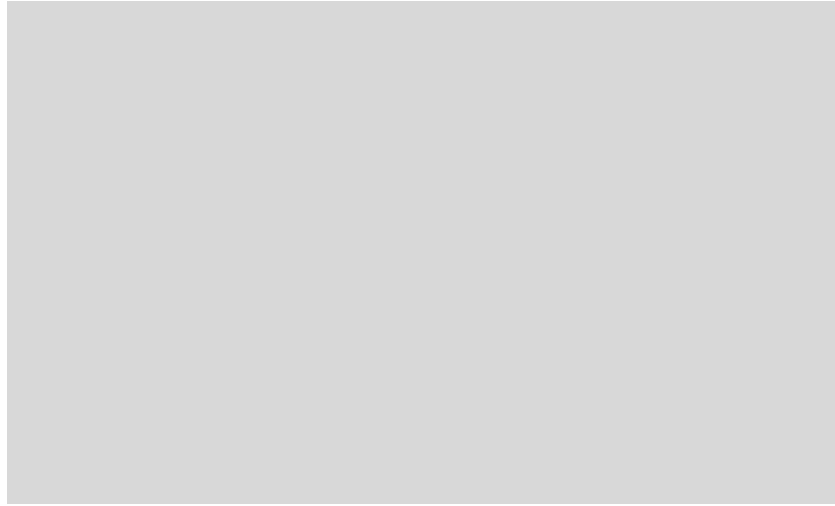
المنهج: انطلقنا من المبدأ الإيستمولوجي الذي يقول أن الموضوع هو الذي يخلق المنهج الملائم، وأن ليس هناك منهج واحد يصلح لدراسة جميع الموضوعات⁶ فوفق الرؤية المنهجية التي فرضتها علينا طبيعة الموضوع ذات التوجه الكيفي وللوصول إلى نتيجة علمية أكثر دقة قمنا باختيار «المنهج الفهمي التحليلي» الذي يلاءم دراستنا السوسيولوجية، من خلال «رؤية فهمية حسب فيبر».

مجتمع البحث: يشتمل مجتمع البحث على مجموعة من الخصائص المتشابهة، وعليه فهو المجتمع الأصلي للعينة، وعليه يقوم الباحث باختيار مجتمع البحث بصورة صحيحة حتى يمثل العينة تمثيلا صحيحا، أما في دراستنا فقد قمنا باختيار مجتمعنا الأصلي المتمثل في الشباب السلفي ذو الانتماء للجماعة السلفية بمدينة "لرجام ولاية تسمسليت" لهم خصوصيات مشتركة حول مجتمع الدراسة، حيث أعطت لنا تصورًا عن مجتمع بحثنا، التي قمنا من خلالها في تحديد الخصائص المشتركة التي التزمنا بها في أخذ العينة.

العينة والمعاينة: لقد شملت عينة البحث مجموعة من الشباب السلفي من مختلف الأعمار، حيث وقع اختيارنا على عينة تشمل أربعة عشر (14) مبحوث، من أجل تحقيق أهداف البحث، وقد تم اختيار العينة على عدة اعتبارات، منها ما هو ميداني متعلق أساسا بالعلاقة الشخصية مع السلفيين من منطلق الملاحظات، بخصوص الميدان والالتقاء المستمر وبحكم التجمعات اليومية في الأماكن العمومية بمنطقة لرجام.

فمن أجل التحكم في موضوع البحث كانت العينة قصدية بأسلوب غير احتمالي، حيث أخذنا مجموعة من "الشباب السلفي" الذكور فقط يتراوح أعمارهم بين (18-36) سنة، وقد أخذنا الذكور لانغلاق الحقل السلفي، وخاصة مع الاناث، وهنا لجأنا للشباب الذكور بحكم التطابق الذي يميز السلفيين بخصوص الموضوع وحتى نصل إلى نتائج أكثر دقة وموضوعية، وهذا لاكتشاف الدوافع والأسباب الحقيقية التي تدفعهم لرفض الطقوس الجنائزية وفق الطابع المحلي التقليدي.

الاطار الزمني: لقد تم القيام بدراستنا في مجتمع مدينة لرجام ولاية تيسمسيلت، وقدم امتدت دراستنا لعدة اسابيع في إقامة المقابلات، التي وضعنا امامها الطبيعة الكيفية للدراسة بداية من 2017/12/11 الى غاية 2018/01/28، لأن دراستنا تمت مع مجتمع السلفية الذي يعتبر اكثر انغلاقا على مثل هذه الدراسات التي كانت حول الطقوس الجنائزية المحلية.



التأويل السوسولوجي للمقابلات: تحتاج المعطيات الكيفية والملاحظة في أي بحث أداتا وتقنية تحليلية، ينجز بثناياها استخلاص النتائج، وقد استخدمنا طريقة «التحليل الموضوعاتي»، وهي "طريقة تقوم على تجميع المعطيات الكيفية عن طريق مواضيع لها علاقة مباشرة، إما بالفرضيات وإما بالأهداف المحددة، وتعتبر هذه المواضيع بمثابة الخيوط الهادية، التي ألحقتنا بها المعطيات الكيفية المتحصل عليها"⁷، لنقوم بتحليلها وفقا لهذه الطريقة التحليلية، بعد إنجاز المقابلات ميدانيا وجمع المعطيات، التي قادتنا إلى التعرف عن المواضيع المتكررة في أجوبة الشباب السلفي حول طقوس الجنائز.

السلفية واستراتيجية العقلنة الطقوسية:

تعتبر طقوس الموت المتمثلة في الممارسات الجنائزية "موجودة لدى كافة الشعوب والحضارات القديمة، وفي التراث الشعبي يعتبر الموت فاجعة للناس قاطعاً لجبل الرباط بين الإنسان وأهله وأصدقائه ونظراً لما له من الأهمية فقد كثرت المعتقدات حوله منذ اللحظة الأولى، التي يشعر الناس فيها بأمر الموت وحتى بعد الدفن بأيام وأسابيع وسنين"⁸، والتي أعطى لها الدين الإسلامي نوع من الأهمية لعلو رمزيها وتحديد كل ما يتعلق بها، ولكن لم تستطع الشريعة ضبط مكمونها نتيجة التداخل الثقافي والتعدد الحضاري الذي عرفته الديانة الإسلامية، إنها لم تستطع الحيلولة بينها وبين هذه الثقافات التي يحركها المسار الأنثروبولوجي، وتعلق الأفراد ببعض المعتقدات والطقوس الجنائزية، التي تستحكم في الوعي واللاوعي الاجتماعي، وتصادمها مع التدين السلفي، الذي يبدي رفضه للعديد منها وتمثيله للزعة المحافظة التي تبدي استفاضة في شرحها، وفق التصور الذي يكون مبني على أساس عقدي وتعبدي، كمحاولة للتقليص من الطقوس الجنائزية التي يلتزم فيها السلفيين.

فالسلفية تحاول أن تقوم بشكل أسامي على إعادة الدين إلى الإسلام الأول، الذي كان عليه السلف من القرون الخيرية، وفق الفهم الذي قدموه لمختلف القضايا والاحكام، فهي "دعوة إلى إحياء التراث الإسلامي والعمل على استعادة صور الإسلام النقية وتطهيره من الممارسات التي علقته به تاريخياً، من البدع والعوائد والشرك وترسيخ القيم الأخلاقية والإسلامية الأصيلة"⁹، التي يكون مبناها على تصحيح طريقة التعبد أي الممارسات والطقوس التعبدية. فبطبيعة الحال أن المنهج المعرفي للسلفية يتكئ على النص والفهم السلفي له، إلا أن المجتمع يتكئ على الإسلام المؤسس على التدين المرتبط بالتقاليد الكلاسيكية، هذا الشكل من فلسفة الاختلاف بدون شك يعد أحد العوائق التي تعاني منها مختلف المجتمعات العربية، كما يصف ذلك "أوليفيه روا" حول الدين والثقافة وهل هو جزء منها؟¹⁰، وأن هذه العلاقة تعتمد على كيفية تعامل الديني مع الثقافي، باعتبار أن الدين جزء من الثقافي، في حين يعمل السلفيين العكس، بمحاولة فرض الديني على الثقافي، مما وسع دوائر التشظي الفقهي والديني وإصابة الهياكل والانظمة الاجتماعية للمجتمع. فالسلفية لا تكاد تنفك عن التعامل مع السوسيوثقافي بالنص من القرآن والسنة، مما خلق تلك الأزمة والتفرق بين الأفراد المنتمين لكل جماعة تحت مسميات طائفية ومذهبية.

كما توجه السلفية النقد لجميع الممارسات الاجتماعية، باعتبارها حركة عقديّة وتعبديّة، مُحاولةً للتقليص من العبادات بدلالة «عبد الحكيم أبو اللوز»، وتصحيح

الاعتقادات، التي ترى أنها ابتداع وإحداث، وذلك بفرض أيديولوجيتها التي تريد فك تلك الممارسات والطقوس عن قدسيّتها، خاصة فيما ارتبطت بعض الممارسات، التي عكف الأفراد والجماعات على تقدسيّتها، إلى درجة الاعتقاد بأنها من صحيح الدين ومخ العبادات. لكن حصول هذه البدع حسب تتبعها لها غايات دينية كما يعتقد الأفراد، إلا أن السلفيين يرو أن الغاية لا تبرر الوسيلة دائما، لأن الانسان يرى أن غايته دينية وتعبد لله تحت غطاء الدين، إلا أن البدعة سيطرت على ممارسات الناس في مجتمع يرى أنه يتقرب بهذه البدع الى الله، في حين أن أغلب ما يقومون به هو سلوك منافي للدين النقي الصافي، الذي كان عليه السلف. هذا التوصيف يوحى بقوة التجريد الذي تقرره السلفية، حين تركز في مسألة الجنائز ومراسيمها إلى أدق التفاصيل الواردة من النصوص وآثار السلف، واتباعهم ولو على أدق الجزئيات المحددة، وأي خروج عن تلك المحددات المقيدة بالنصوص القطعية يعتبر بدعة ومحدثة، ترى تجنبها، وإلزام الأتباع والأفراد إلى اجتنابها، لأن التعبد يكون بما أقرته الآثار من السنة، التي يستدل بها كدليل على الالتزام، كما أفرد ذلك «الألباني» في كتابه "أحكام الجنائز وبدعها" ولأن كل ما عارض السنّة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد ولو كانت عن اجتهاد وكل ما نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة ولو كان يراد بها التقرب الى الله على حسن النية لأن المشروع شرعا لا يعطي التعبد بالإحداث والزيادة في الأمور الدينية¹¹. والجدول التالي يلخص بعض الطقوس التي يمارسها الأفراد وتكون حاضرة بشكل قوي أثناء الجنائز وبعدها، كمحاولة لإبراز بعض النقاط حول الطقوس التي تتكرر بشكل دوري، ويعتبرها السلفيين بدعة.

جدول رقم 02: يوضح أهم الطقوس الجنائزية التي تمثل البدعة لدى السلفين		
انواع الطقوس الجنائزي	البدعة	حكما
المتعلقة بالاحتضار والنعي	وضع المصحف على رأس المحتضر فتح الباب لتحول الملائكة أثناء احتضار الميت المغلاة في النعي بالوقوف امام المساجد او في الاسواق وضع البراح مثلا الاعلان في الجرائد	- مخالفة السنة، الاعتماد على الضعيف من الاحاديث أو الدخول في الكراهة والبدعة
المتعلقة بالقبر	رفع القبور وتخصيصها والبناء عليها وضع الشواهد والكتايب عليها قراءة القرآن والتهليل عند القبر (الجلالة) تزيين القبور تلقين الميت عند القبر وقراءة ياسين	- لم يفعلها، أو أنكرها
المتعلقة بقراءة القرآن	قراءة القرآن على المحتضر وعند قبر الميت خدم القرآن في بيته أخذ الأجرة (الزيارة)	
المتعلقة بالاربعين	كل ما يقام فيها الاطعام قراءة القرآن والمدائح والبردة جمع الزيارة (النقود) زيارة القبر يوم الاربعين	

فالسلفية من خلال الاستفاضة في شرح الطقوس الجنائزية، لا تكاد تترك أي مصدر لهذا الطقس إلا أوردت فيه قوامه وقرينه من الشرع، في محاولة منها لفرض تأديته بالصورة النموذجية والمثالية التي كان يؤديها زمن السلف من القرون الخيرية. ومن الملاحظ أنها في الكثير من الأحيان تستفيض بالشرح لتلك الطقوس التي تعتبرها متعبد بها، وأن الأفراد قد انحرفوا عن تأديتها بالشكل الصحيح، حيث يبدي السلفيين التطبيق المقون لطقوس الموت والجنائز بمقابل ما تعتبره مبتدعا والتي نذكر منها:

أولاً: الاحتضار والنعي بين المتخيل السلفي والهيمنة الطقوسية:

لا بد من الإشارة إلى أول طقس يقترن بالموت، باعتباره يعطي تلك الصورة التقديسية في المتخيل الديني لجميع الأفراد، فالاحتضار وهو انتقال الانسان من العالم المحايث إلى الأخرى، إنه يرمي تلك المهابة التي وظفت نفسها في إعطائه طقوس وممارسات ثقافية، فمن "بين الطقوس التي ينشغل بها الناس قبيل حلول الموت، الإحاطة بالمحتضر بالتخفيف عنه والدعاء حتى لا يصيبه الجزع، ولا يواجه هول الموت بمفرده، ويساهم الالتفاف بالمحتضر في جعل الأهل يتبنون حدث الموت ويتفاعلون معه بطريقة ايجابية، وينون عليه بناء دينيا ويضفون عليه القداسة من خلال القيام بالأدعية والاذكار وتلاوة القرآن وتلقين الميت الشهادة وتوجيهه

للقبلة وفتح الابواب استعدادا لدخول الملائكة إلى غير ذلك من الأفعال¹²، التي ارتبطت رمزيتها بالاعتقاد الديني وحصول الأجر والثواب، فأصبح طقس الاحتضار يحين تلك الممارسات، والتي يرى السلفية أنها ليست كلها ذات صلة بالطقوس الدينية المصرح به نصوصيا، وأن الزيادة الطارئة عليها أكثر من الصريح المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم بتصرح المبحوث رقم 01: "هذه الممارسات ليس عندها تبرير والناس تعتمد على الاحاديث الضعيفة كقراءة «سورة يس» على المحتضر"، إن السلفية بهذه الصورة تحاول إعادة انتاج الممارسات الجنائزية كما حددها اسلام البدايات وبالتالي تستوجب الاستغراق في تشخيصها، ومحاولة غرلها لإيضاح ما علق بها من الاعتقادات التي استحوذت فيها الثقافة على الطقوس الدينية الصريحة، وتحولها إلى الانماء والأحداث في مجرياتها الاجتماعية أو العمل بالضعيف من الحديث، كتوجيه الميت نحو القبلة وقراءة «يس» عند رأسه التي تعتبر غير واردة لعدم بيان الدليل، كما نقل عن سعيد ابن المسيب¹³.

يحيلنا هذا إلى القول أن السلفية توجه قراءتها حرفيا، لكل طقس جنازي يتعلق بالدين، لأن الأصل في العبادات التوقيف، ولذلك نجد شروحات مستفيضة حتى في النعي الذي يراد به الاعلام عن الموت فيقول المبحوث رقم 03: "كأين ناس تغالي في النعي حتى وقت كانوا ديروا الجراح في الاسواق والشوارع وهذا ليس من السنة في شيء"، هذا التوضيح التطابقي الذي لا يمكن الخروج على ما أقرته السنة في طريقة النعي وما يتعلق به، عبر سرد النصوص التي يجب الالتزام بها في صورة متطابقة مع الدليل الوارد فيه، دون تكلف في الاعلام بالميت، كالجهر بين الناس في الشوارع أو الوقوف امام المساجد¹⁴ وغيرها، ونبت تلك العادات المنتشرة بسعي فرد بين الناس لإخبارهم، أو رفع صوته في الاسواق أو الشوارع، كما كان يفعل الجراح عندنا في زمن خلا، واعتبار ذلك من صور الجاهلية كما ترفض تلك الاعلانات والتعازي التي تنشرها الجرائد والمجلات من وسائل الاعلام، لأنها في نظرهم تجدد الحزن لأهل الميت وإثارة من البدع المحدثه، ولذلك تقوم بدور القانون ولا تقترح ثقافة هي حكر بمجتمع حقيقي. باختصار لتكون الرسالة صحيحة يجب أن تكون بسيطة وواضحة «افعلوا... لا تفعلوا...»¹⁵.

وهنا يمكن القول أن السلفية بقيامها بهذا النمذجة الدينية للطقوس والممارسات، تسعى إلى بناء مجتمع يقوم على الامتثال لتطبيق ذلك سلوكيا وليس على المستوى المعرفي فقط، إن العقل السلفي يصر على ترتيب الطقوس التعبدية ترتيبا متعاضدا عقائديا، والتفصيل والاستفاضة في لان الايمان قول وعمل واقتداء بما أقرته الشريعة والعقيدة، لقول المبحوث رقم 05: "الدين تطبيق قول وعمل وايمان وليس كما يفعل بعض الناس في طرق الدفن التي

ليس لها أي سند في الدين كما فعله السلف " يحيلنا هذا التماثل والامتداد العقدي والتعبدي الذي يظهر للعيان على مختلف المنتمين للجماعة السلفية، إنها تريد بناء مجتمع يختلف عن ما هو موجود، إنها بمثابة صورة مقتضبة من الماضي كما هو واستهامها عقديا وتعبديا بما قدمه، فالسلفية نزعة تقشفية تحاول التقليل من العبادات قدر المستطاع وتقرنه بما أقره السلف، لهذا ترفض جميع العبادات والسلوكيات المرتبطة بالإسلام المحلي وزياداته الطارئة، واعتبار المقيمين لطقوسه منحرفين في ما يقومون به من الممارسات المتعلقة بالتقاليد الدينية الكلاسيكية .

ثانيا: التهليل والقراءة الجماعية للقرآن كرأس مال للثواب:

تعتبر هذه الطقوس من أكثر الممارسات التي تتخلل جنازنا، وتحدث هذه المراسيم بصورة دورية ومتكررة من مآثم لأخر، إنها تعتبر بمثابة رأس المال الذي يقدمه الأحياء للميت بعد وفاته حتى يجزئ عنه، مما يساهم في إعطائها تلك الشرعية الرمزية لترسيخها، لأن أي طقس يتكرر تتقوى أواصر تطبيقه من طرف الأفراد، ومن " المميزات الخاصة التي تعطي للطقس فرادته أنه يتم وفق مميزات يمكن تحديدها في ثلاثة: أولاها التععيد، بحيث يخضع الطقس لقواعد منتظمة متعارف عليها لدى أفراد الجماعة، وثانيها التكرار، حيث يعاد إنجاز الطقس في مناسبات تتوالى في أوقات مضبوطة من حياة الجماعة، وحسب "توزيعية" زمنية horaire calendrier ، مضبوطة. وثالثها الشحنة الرمزية التي تتخذها، مما يعطي الممارسات دقتها وفعاليتها الرمزية الخاصة"¹⁶.

فرمزية الموت وما يتعلق به من التقديس لارتباطه بالعالم الأخروي، يضفي على إقامة هذه الطقوس الشرعية الدينية، وخصوصا مع ارتباطه بالمغفرة والثواب، التي تشكل رمزية قراءة القرآن والتهليل الجماعي، ولما تحمله هذه العادة من الحمولة الرمزية حول المقدس الديني، من تشبها بالقرآن والذكر، الذي يمارس على شكل قراءة مرتفعة وترتيل تلك الأدعية، التي ارتبطت بمراسيم الدفن، حتى تصل في بعض الجنازات إلى إعادة تلقين الشهادة للمسيح وهو ميت، مما تحمله هذه الصورة من تعلق الناس بما ورثوه عن تصورات تقديسية لهذه التقاليد، التي ليس لها أي صلة بالدين الإسلامي حيث يقول ابن القيم " وكان من هديه صلى الله عليه وسلم تعزية أهل الميت ولم يكن من هديه أن يجتمع للعزاء ويقرأ له القرآن لا عند قبره ولا غيره وكل هذا بدعة حادثة مكروهة"¹⁷، وإذا تتبعنا جميع الخطوط التي تنقلنا بين مختلف ما يقرره العقل السلفي تجاه هذا الممارسة الطقسية، نرى أن جميع السلفيين يبدون نفس النقد والنبذ، الذي يمارس على هذا التقليد الاجتماعي الذي يقيمه أفراد المجتمع، حيث

صرح المبحوث رقم 07: "هذه القراءة الجماعية والتهليل عند القبر ولا بعد الدفن بدعة وليس لها أي دليل في الاسلام ولم يفعلها النبي ولا الصحابة والتابعين كل تقاليد جابتها الناس وتعتقد أنها من الدين " فتقول اللجنة الدائمة للبحوث والافتاء وهي تعتبر كفر عن المؤسسة الدينية السعودية التي تسمى هيئة كبار العلماء، وهي الممثل للسلفية المعاصرة متخصصة في الإجابة على الفتاوى الفردية في مسألة العقائد والعبادات وغيرها في إجابتها على أحد الاسئلة التي وجهت اليها بهذه الصيغة حول الاجتماع في الأربعاء يوما بعد الموت وقراءة القرآن وأخذ الأجر من أهل الميت وأكل الطعام وكذلك إحياء الذكرى السنة للميت فتجيب على السؤال بالرفض القاطع باعتبار هذا" الاجتماع عند مضي أربعين يوما على وفاة الميت بدعة، وقراءة القرآن أو ما يسمى بالختمة للميت بدعة ثانية، وأكل هؤلاء القراء ما قدم لهم من الطعام وأخذهم الأجرة على القراءة حرام، وكذلك إحياء الذكرى السنة للميت بمثل ذلك حرام، ولا يجوز أخذ أجر لمجرد قراءة القرآن؛ لأن قراءته عبادة محضة، فكل هذه الأعمال وأخذ الأجر عليها لا يجوز، أما أخذ الأجر على تعليم القرآن وعلى الرقية به فحائز. فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إجماع أهل العلم أن أخذ الأجرة على مجرد التلاوة محرم عند جميع أهل العلم، لا نزاع بينهم في ذلك"¹⁸.

هنا نرى أن الحركة السلفية تريد طرد تلك الممارسات، وربط الأفراد بوعي يسري في سياق تفسير واحد لها وهو كما تقرر، ونفي أو تفكيك تلك التفسيرات المرتبطة بما يقوم به الأفراد من الطقوس، حيث يقول المبحوث رقم 09: كل ما يتعلق بالقراءة الجماعية في الجنائز ولا عند القبر بدعة وخاصة البدعة نتاع الجلالة والبردة عند القبر ولي بدأت تروح والناس راهي دير على التقاليد وناسية السنة نتاع الرسول صلى الله عليه وسلم "يرى السلفيين أن هذه المشاهد الجنائزية المرتبطة بالواقع الثقافي للمجتمعات كلها تدخل ضمن ما هو مبتدع، وليس له دليل، رغم اختلافها في طرق وكيفية إقامتها، وتختلف حتى الاذكار والتهليلات فمنهم من يقوم بقراءة البردة وآخرين يقرءون الادعية وكلها تكون بصوت جماعي ومرتفع يتشارك فيه الحاضرون في المقبرة، حتى يضفي على المشهد مهابة وتذكير الحضور بالموت في اعتقادهم، ويرى آخرون أنها تتيب عن الميت ويصل الأمر بأهل الميت في كثير من الاحيان إلى استئجار شيوخ ومقرئين لقراءة القرآن على جنازة الميت، حتى يصل ثوابها للميت وحتى يستفيد الحاضرون من السماع للقرآن، لأنه متعبد بتلاوته وسماعه.

وهنا يمكن القول أن ما يوقعه السلفيين حول هذا الطقس الشواهد المرهونة بالمفاسد التعبدية والعقائدية، خاصة ما يتكرر في جنازتنا من الاجتماع وقراءة القرآن قراءة جماعية وما يجمع من النقود «الزيارة»، ويصل في بعض الاحيان إلى استئجار الشيوخ وحفاظ

القرآن لإقامة الختمة مرة واحدة ويكون ذلك من طرف أهل الميت وقد يصل إلى المباهاة والهرجة بين أصحاب الجنائز وهذا ليس من السنة ويقول آخر رقم 02: "الناس تخالف السنة وتزيد تباهي في الجنائز بهذي المخالفات والبدع" ما تقوم عليه من الاستناد ليس من الدين بل من العادات والعرف كما يراه أصحاب المنهج السلفي وأنه ليس له أي دليل من السنة ويخالف ما اقره النبي باعتباره امر حادث ومبتدع التصق بممارسة الطقوس الجنائزية ويحاولون اسقاطه بتوظيف ما يقابله ويفند مصداقية إقامته من طرف أفراد المجتمع بقول النبي صلى الله عليه وسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)¹⁹ وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: «كُنَّا نَعُدُّ الْاجْتِمَاعَ إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصِنِيعَةَ الطَّعَامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النَّيِّاحَةِ» صححه «الألباني» في «تلخيص أحكام الجنائز»²⁰.

فالسلفيين يحاولون إقصاء هذه الطقوس عبر الاستناد والاحتكام إلى ما قرره السنة، وذلك عبر العقل القياسي الذي تعتمده في تبرير انحراف تلك الطقوس الجنائزية، وربطها بالسمت السلفي بدلالة المبحوث رقم 04 "اقرأ التوضيح الذي قدمه اهل العلم والمشايخ في حول الطرق الصحيحة في الدفن والجنائز ابن تيمية محمد ابن عبد الوهاب الالباني ابن باز والسعدي والمدخلي وغيرهم لهم شروح وفتاوى حول البدع الجنائزية " هنا يتخذ السلفيين استراتيجية إستراتيجية إستراتيجية مبنية بالدرجة الأولى على تلك الصرامة العقلية التي تكونت وفق خط واحد وفق التقليد الحنبلي او ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومحمد ابن عبد الوهاب او المشايخ والعلماء المتأخرين الألباني ابن باز وابن عثيمين.

فالسلفي في هذا السياق يعتبر "أسير أفكاره أو حبيس أصوله وثوابته، وأن يتعامل مع المرجعية الفكرية كسلطة مطلقة لا تخضع للجدل والمساءلة أو يتصرف إزاءها بمنطق التسليم والطاعة"²¹، وقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية عن حكم رفع الصوت بالتهليل الجماعي في أثناء الخروج بالجنائز والمشي إلى المقبرة، والتي يقوم فيها مجموعة من المشايخ الافقاء على مستويات محددة فتاويهم جماعية وفردية حسب درجة الأهمية التي تتميز بها المسألة والقضية وقد أجابت: «هدي الرسول صلى الله عليه وسلم إذا تبع الجنائز أنه لا يسمع له صوت بالتهليل أو القراءة أو نحو ذلك، ولم يأمر بالتهليل الجماعي»²².

فالمسلم به أن السلفية مرتبطة بشكل أساسي بالنص الديني وبأسلوب التعامل معه²³، إلا أن الكثيرين لا يستسيغون هذه التوصيفات التي يقدمه السلفيين لهذه الطقوس لما تركز عليه من الثقل الثقافي والحمولات الرمزية المتجذرة في البنية الذهنية والاجتماعية ما

أسبغ عليها شرعيتها، ولكن ما تقوم به السلفية هو تسييح تلك الطقوس ومحاولة تقييدها، حتى تستطيع فك أواصرها من المجتمع، وهذا التسييح مبني على نسق ونظام محدد بدقة يرسي ثقله النصوبي، وبذلك يتضح أن رفع الصوت بالتهليل مع الجنازة بدعة منكرا لدى العقل السلفي.

ثالثا: تسوية القبور وما يتعلق بها من الانتاج الثقافي:

تعتبر القبور والمقابر أو المدافن، ذلك الطابو الذي قدسته البشرية عبر حقب التاريخ، وقد شكلت المقابر والقبور مخيلا وطقوسا تقام عند جميع المجتمعات، لأنها ترمز للعالم الآخر الغيبي وقوة الطبيعة أو الاله، وقد وصل بعض الأفراد والجماعات الى عبادة تلك القبور أو عبادة الاسلاف، وقد ربطت الديانات جميعها بمعتقدات بنتها لتلك المهابة التي يجعلها الموت في نفسيها حتى البدائية منها ولا يمكن فصل الاسلام عن تلك الديانات التي قدمت وصفا شاملا لمجريات القيام بالطقوس الجنائزية وطرق الدفن، وفق نسق محدد قرره الشريعة، إلا أن تلك الطقوس اختلطت بالممارسات الثقافية، فأصبحت جزء لا يتجزأ منه، حتى أن الكثيرين يعتقدون أن بعض الطقوس حث عليها الدين، ولكن مع بروز الحركة السلفية وتصدها المشهد الاجتماعي، كحركة تريد إصلاح تلك الممارسات التي علق بالدين، في محاولة منها لتصفية الاسلام مما علق به من البدع والخرافات، التي سيطرت على المجتمع.

فما ينطلق منه السلفيين في المسائل التي يصفونها بالبدع والشركيات حول «تعليية القبور» ورفعها أكثر مما أقرته السنة، وهذا الاعتقاد لدى السلفيين ليس من نسج الخيال، بل هو مبني على نصوص صريحة، تكون في بعض الأحيان لها قوة وحجة في ما توظف فيه ضد ممارسات الطقوس الجنائزية والسلوكيات المتعلقة بالقبور، وهنا يستدل بما هو صريح، حسب المبحوث رقم 6: "لا يمكن أن نقيم جنازة دون نرى المخالفات الشرعية من رفع القبور وتزيينها والبناء عليها والكتابة والشواهد التي يضعها الناس، لان الناس ابتعدت عن الدليل من السنة وهو لي استدعى حلول البدعة في الجنائز وخصوصا في المجتمع لي تسيطر فيه الصوفية "

وهنا يمكن القول أن هذه الحتمية لأي انعطاف عن النص أو السنة غير مقبول من طرف التدين السلفي، لأنه يعتبر من الدواعي الواهية أن يخالف ما أمر به الشرع والدين في أمور تؤدي بالكثيرين إلى نحو هذه المخلفات التي يوصف أصحابها بالمبتدعة، التي يعتقد أن الصوفية بطريقتهم هم من حملوا الناس على تعليية القبور والبناء عليها دون اتباع هدي السنة النبوية أو التأسى بالسلف الصالح، ويعتمد الاتباع السلفية في تبرير تسوية القبور

بالالتزام الحرفي للنص وخصوصا ما رواه مسلم «969» عَنْ أَبِي الْهَيَّاجِ الْأَسَدِيِّ قَالَ قَالَ لِي عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَلَا أُبَعِّثُكَ عَلَى مَا بَعَّثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَنْ لَا تَدَعَ تَمَثُّلًا إِلَّا طَمَسْتَهُ وَلَا قَبْرًا مُشْرِفًا إِلَّا سَوَّيْتَهُ»²⁴.

فتسوية القبور من المهمات التي ترى الحركة السلفية بأنها مركزية في الطقوس الجنائزية، وذلك من خلال اتباع السنة في مسألة رفع التراب عن الأرض ليكون مقدار شير، مع تسنيم القبر وعدم الكتابة عليه، أو وضع الشواهد لتعيينها والاكتفاء بوضع حجر أو شيء من هذا القبيل لتعيينه فقط، وهذا بالرجوع الى ما تشكله السنة في المتخيل للسلفي والالتزام الحرفي بها والسعي لتطبيقها كما هي، إذ يقول ابن القيم رحمه الله: " ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تعليقه القبور ولا بناؤها بأجر ولا بحجر ولبن ، ولا تشييدها ولا تطيينها ، ولا بناء القباب عليها ؛ فكل هذا بدعة مكروهة مخالفة لهديه صلى الله عليه وسلم وكانت قبور أصحابه لا مشرفة ولا لاطئة ، وهكذا كان قبره الكريم وقبر صاحبيه ؛ مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء ، لا مبني ولا مطين ، وهكذا كان قبر صاحبيه ، وكان يعلم قبر من يريد تعرف قبره بصخرة²⁵.

وبالرجوع لمسألة رفع القبور أو الكتابة والبناء عليها، تجعل العقل السلفي يرى أنها بدعة تدفع تدريجيا إلى تقديس تلك القبور، ويصل بالبعض الى حد الاشراك والتعلق بها، هذا التأثير الذي تمارسه السلفية على أتباعها من خلال التبعية الدينية التي تهيمن عليهم رمزيا، وتصبح كنوع من السلطة الرمزية قول المبحوث رقم 08: "الدفن يجب أن يكون على ما أقرته السنة حتى وان كره بعض الناس ذلك وحتى نغيروا هذي البدع"، فبالعودة إلى الواقع ندرك أن السلفية تتعامل مع هذه الطقوس على أساس ايماني يتم التعبير عنه بقانون صرف «الحلال والحرام»²⁶. وهذا ما يشكل حتما من التواجه بين السلفيين والأفراد المتعلقين بهذه السلوكيات والاعتقادات، التي تشكل نسق المجتمع، مما يحمل على الانشقاق والتشظي بين أفراد المجتمع، لكن من جانب آخر كيف يمكننا معرفة ما تتبعه السلفية في التمييز بين تلك الطقوس ومدى تعلق الأفراد بها ؟ هنا نرى أن الكثير من الناس داخل المجتمع لا يرى أن تلك الطقوس الجنائزية استحداث في اعتقادهم، وإنما يرى أنها لا تخالف الدين مع تكرار القيام بها في كل مرة، مما يصعب تقبل نزعها أو المساس بأحد طقوسها واعتبارها كخصوصية يمتلكونها لها عند كل طقس جنائزي، نظرا للتعلق الوجداني، واعتبارها كطقس ديني واجتماعي، لا يمكن فصله عن ما يتدينون به، في حين أن السلفيين يلزمون تلك الممارسات الجنائزية بما يقابلها من القرآن والسنة، حتى يعطوا تبريرا لما يقوم به الأفراد تحت توصيف البدعة، التي يجب على الأفراد تجنبها ومحاولة فرض منطق الصفاء والنقاء الديني الذي يلتزم

به، حتى يكون لها اعتراف وقبول في نظرهم ليس من المجتمع ولكن من الله لأنه لا يمكن التقرب الى الله بما هو مبتدع.

رابعا: طقس «الربعين» بين الثقافي ورأس المال السلفي:

يعتبر طقس الربيعين «أربعينية الميت» من الممارسات الجنائزية التي تحضر في مختلف الترتيبات الجنائزية، وبعد حصول أي وفاة، كطقس اجتماعي له رأس مال ثقافي، وبأواصره القوية في «المخيل الاجتماعي» بدلالة "ج. دوران"، الذي يشكل مجموعة من الاعتقادات حوله، ويرى السلفية أن «الأربعين» بدعة تمارس من طرف الأفراد والمجتمع، الذين ورثوها من ثقافات أخرى، فهي تمارس تنويم مغناطيسي، وذلك من خلال الماضي الموروث، الذي شكل سلوكهم وممارساتهم في إنتاج بنيتها في المآتم التي سلكت تلك الثقافة في احياء المراسيم المقيدة بمجموعة من الطقوس، يقيمها أهل الميت في اليوم الاربعين بعد دفن الميت، فان ما يحدث من المراسيم لا تمت للدين بصلة بل هي تقاليد اخترعتها الثقافة البشرية، فأصبحت كرمز فاعل في انتاج مظاهرها المتصلة بطقس الموت "وتسمى أيضا «الختمّة» يوزعون أجزاء القرآن على القراء في اليوم الأربعين من وفاة الميت فتتلى على روحه .والنصارى للإسلام يقيمون صلاة الميت في اليوم الأربعين ولعلّ هذه الظاهرة مستمدة من المصريين القدامى الذين يحنطون الجثة مدة أربعين يوماً»²⁷.

بالاستناد الى الرفض الذي تفرره السلفية لهذه الممارسة الجنائزية قررنا اللجوء الى السياق التاريخي في التحقق من دخولها إلى المجتمع، باعتبار أنها تمارس بشكل موسع، ويقيمها الافراد دون التخلي عن أي طقس يتعلق بها، وما تحدثه من الصراع بين بعض الأفراد، والسلفيين الذين يرفضون إقامتها في المجتمع، مع علمنا أن ممارستها تختلف من منطقة لأخرى، حيث يقول المبحوث رقم 06: "أكبر بدعة وأخطرها هي الربيعين لأنها ليس لها أي صلة بالدين والسنة وهي واضحة بدعيها وهي عادة فرعونية قديمة جابوها الفاطميين معهم للمغرب العربي".

وهنا ما يقرره السلفين حول هذا الطقس، ومما توصلنا إليه أنه عادة فرعونية انتقلت من مصر عبر التصاقها بالثقافة العربية الاسلامية، وأصبح الكثير من الأفراد يقوم على إقامتها واعتقادهم أنها من الدين، مع إلصاق بعض التمثلات التي علقت في البناء الثقافي حول إقامتها، والأكثر من ذلك أن بعض الفرق الاسلامية وجدوا لها مستندا أو حوروا بعضهم النصوص الدينية، التي ربطوها بأربعينية الميت وطقوسها، كتبرير لما يقومون به من الممارسات، المتعلقة بحكم إقامتها، وحتى يستسيغها أفراد المجتمع، إذا فما هي الأبعاد

التاريخية لنشأتها في المجتمعات الإسلامية؟ باعتبارها تعد إحدى أكثر الممارسات الطقوسية انتشاراً عند الشيعة، وتأسست عندهم مع بداية تشكل الدولة الفاطمية في مصر، واختلاط الثقافة المصرية الفرعونية بالممارسات الإسلامية المتعلقة بالجنائز وهم يحتفلون بها إلى اليوم، وتسمى أربعينية الحسين وهي مأخوذة من الأسطورة الفرعونية القائلة أن: "أوزوريس" عندما قتله أخوه "ست" ومزق جثته أربعين جزءاً وطرحها في أربعين مقاطعة، لذا فقد أقام المصريون القدماء للإله "أوزوريس" قبرا لكل جزء من جسمه، وبقيت في التحنيط لمدة أربعين يوماً ومنذ ذلك الحين والفرعنة يحنطون جثث موتاهم ويقيونها أربعين يوماً بعد معالجتها بمختلف أنواع العقاقير، ثم يشيعونها لمثاها الأخير في احتفال مهيب²⁸، وتشكل أسطورة الشيعة حول دفن "رأس الحسين" مع جسده بعد أربعين يوماً إحدى التجسيديات لهذه الأسطورة والعادة الفرعونية أيضاً.

ويرى السلفيين التصاق وانتقال هذه الطقوس من ثقافات وحضارات سابقة، بمثابة بدع وخرافات تأصلت في المجتمعات الإسلامية، وليس لها أي مسوغ أو مبرر ديني باستدعاء النصوص أو وضعه في القوالب الأولى للفهم السلفي، إن هذه الطريقة في التحليلات الطقوسية من قبل الشباب السلفي، تجعلنا نقر أن هذا "النمط من الوعظ الخاص بمستوى رفيع من التأمل والتحليل العقلي والنفسي للنصوص الدينية بالتوفر على رصيد معرفي من علوم الدين فضلاً عن تباري أصحابه «المنهج السلفي» في ابتكار القول البليغ والمؤثر، وكذلك الحرص على المطابقة بين السلوك والاعتقاد والعلم والعمل"²⁹. ويرى أتباع التدين السلفي أن بعضها أصبحت تشكل اعتقادات الأفراد واعتبارها من الواجبة إقامتها كأولئك الذين يعتقدون أن روح الميت لا ترتفع إلى خالقها إلا بعد أربعين يوماً فلذلك تقام وليمة «الرربعين» على روح الميت حتى تصعد ويدعى الناس مرة أخرى لإطعامهم وقراءة القرآن والذكر والدعاء .

فمن المسلم به في استقرائنا حول رفض الشباب السلفي لطقس الأربعين والتأكيد على بدعيته، ويرجع ذلك إلى الارتباط الذي تدعي السلفية أنها تمثله وعقدها الأمر على مناهضة البدع والشرك والانحراف العقدي والتعبدي، لأن منشأها الأول ضد الزيادات وكل طائفة، ومن هنا يعتبرها «محمد عمارة» أنها «ظاهرة عباسية» نظراً للظروف التي قامت عليها في تلك الحقبة ومنازعتها للفرق الكلامية والعقلية، وإذا عدنا إلى العقل السلفي عموماً، فإنه يرفض الثقافي ولا يعترف به، انه مطبوع على النص واحتكامه لما أقامه السلف، إنه يجزم أن كل تجديد أو زيادة تعتبر بدعة، وبالتالي جعلت السلفية من نفسها اليوم إحدى الحركات التي تريد نزع تلك المعتقدات والممارسات التي عكف الناس على إقامتها وخصوصاً الأربعين «الرربعين»

«، التي يرى السلفيين أنها إحدى البدع التي أورثت الكثير من المحاذير الشرعية، واعتناق الافراد لهذه التقاليد المبتدعة يشكل خطرا على اعتقادات المجتمع.

خاتمة:

فالملاحظ أن السلفية تعتبر الطقوس الجنائزية من أكثر الأفاق الممارسية، التي يظهر فيها ذلك التداخل بين البدعة والدين واستحضار ما هو مدنس ونجس، في الوقت الذي يرفض المقدس الديني لدى العقل السلفي مرآة الثقافة، التي تعكس مثل هذه الطقوس وإنزالها إلى مخبر التشريع المتأسس على الفهم النصوبي السلفي، للحد من بزوغ ما هو ثقافي وسيطرته على الأفراد والمجتمع، وإقصاء ما هو ديني أو الزيادة على ما شرعه مبرهن عليه من القرآن والسنة، لخلق تلك الأحادية في تصحيح الدين وفق قاعدة متأصلة في المنهج السلفي (التصفية والتربية).

هنا يرى السلفية أن الثقافي الموروث والذي يصطلح عليه بالبدعة كوصف شامل لتجلياته، قد طغى على طقوسنا الجنائزية في اعتقادهم «هابتوس البدعة» حتى أصبحت تتحكم فينا العادات والتقاليد المبتدعة المرتبطة بأباطيل وأساطير منحرفة ليس لها صلصت بالإسلام الذي حددته الشريعة لممارسة طقوس الموت، من هنا ترى السلفية أن الاهتمام بمثل هذه الممارسات أمر له تبريره المحدد بالحجة والدليل الشرعي والفقهي في احترام النصوص الواردة عن الكيفية التي نمارس بها طقوسنا المتعلقة بالمراسيم الجنائزية. في حين أنه علينا ألا ننسى أن هذه الطقوس أصبحت عنصرا مؤسسا لبنية المجتمع، فالمساس بها يعني المساس بذهنية أفرادها التي أضفتها عليهم قدسيته المتوارثة ثقافيا والتي يغفلها العقل السلفي في جل خطاباته.

فمحاولة السلفية عقلنة هذه الطقوس يدفعها إلى ما هو أقدس من الثقافي المتأسس في المخيال الاجتماعي، ولذلك يلجأ السلفيين دائما للدليل المشتغل على الثنائيات الثلاث «القرآن والسنة والسلف» لعلو رمزيتهم في المتخيل الاجتماعي، إلا أنه لا محالة من وقوع صراع مع الثقافي من العادات والتقاليد المرتبطة بالجنائز الذي يوجب الوضع دائما وإذا رجعنا إلى بنية الخطاب السلفي فسوف ندرك أنه يرفض الثقافي ويلفضه، والحقيقة أن ما تشكل واكتسبه الناس عبر عقود من الزمن لا يمكن تنحيته بين ليلة وضحاها كما يحتج السلفيين، لأن رسوخ الطقس لا يكون كما يعتقدون على مستوى الظاهر فقط أثناء تطبيقه وممارسته وإنما جوهره وحقيقته تكون على مستوى ذهنية الشخص المقيم له، وبهذا ندرك أن العلامات التي تقدمها السلفية بفكرها المنقطع عن الواقع الذي تربت فيه هذه الممارسات والطقوس لا

يمكنها افقاد هذه الظاهرة قدسيتهما كلها لأنها في اعتبار الكثيرين بمثابة الثوابت التي يحتضنها المجتمع عند حدوث الموت أو وجود جنازة.

الهوامش:

- ¹ - محمد أبو رمان، أنا سلفي: بحث في الهوية الواقعية والمتخيلة لدى السلفين، مؤسسة فريدرش إيبيرت، عمان، ب ط، 2014، ص33.
- ² - محمد حلبي، قواعد المنهج السلفي في الفكر الاسلامي، بحوث في العقيدة الاسلامية، دار الكتاب العلمية، لبنان، ط1، 2005، ص 159.
- ³ - محمد أبو رمان، أنا سلفي، مرجع سابق، ص 34.
- ⁴ - الفقيهي علي بن ناصر، البدعة ضوابطها وأثرها السئ في الأمة، ط1، دار المنهاج، 2002، ص27.
- ⁵ - الغامدي سعيد بن ناصر، حقيقة البدعة وأحكامها، ج1، ط3، الرياض، مكتبة الرشد، 1999، ص282.337.
- ⁶ - بنعبد العالي عبد السلام، ميتولوجيا الواقع، ط1، دار توبقال للنشر، 1999، ص95.
- ⁷ - موريس أنجريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الانسانية : تدريبات علمية، تر: بوزيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون دار القصة الجزائر، ب (ط)، 2004، ص 404.
- ⁸ - طه نضال فخري ، الطقوس والمعتقدات الشعبية في الأدب الشعبي: محافظة رام الله، رسالة ماجستير، أدب عربي، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2009، ص 288
- ⁹ - أبو رمان محمد، أنا سلفي، مرجع سابق، ص34.
- ¹⁰ - روا أوليفيه، الجهل المقدس: زمن دين بلا ثقافة ، تر: صالح الأشمير، ط1، بيروت، دار الساقى، 2012، ص ص 107.51.
- ¹¹ - الألباني ناصر الدين، تلخيص أحكام الجنائز، عمان، الاردن، المكتبة الاسلامية، ط2، دون سنة ، ص ص95.96.
- ¹² - قرامي أمال، الاختلاف في الثقافة العربية الإسلامية - دراسة جندرية، دار المدار الاسلامي، ط1، 2007، ص 523.
- ¹³ - الألباني ناصر الدين، مرجع سابق، ص11.
- ¹⁴ - الجزائري أبو بكر جابر ، منهاج مسلم :كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات ، القاهرة، مصر، دار السلام ، ط4، دون سنة، ص209.

- ¹⁵ - أوليفيه روا، مرجع سابق، ص 186.
- ¹⁶ - المحواشي منصف، الطقوس وجبروت الرموز: قراءة في الوظائف والدلالات ضمن مجتمع متحول، مجلة إنسانيات، كراسك، وهران، عدد 49، 15-43، سنة 2010، ص 20.
- ¹⁷ - الجوزية ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، ج1، مؤسسة ط3، الرسالة 1998، ص 508.
- ¹⁸ - الحمادي عبد الله بن محمد، شرح الصدور ببيان بدع الجنائز والقبور ويليهِ فتاوى أهل العلم في أحكام الجنائز والقبور، قرأه وقدم له. محمد بن عبد الرحمن الخميس، الإمارات، مكتبة الصحابة، الشارقة، القاهرة، مكتبة التابعين، ط1، 2000، ص 538.
- ¹⁹ - البخاري أبي عبد الله محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 2002، ص 515.
- ²⁰ - الألباني ناصر الدين، تلخيص أحكام الجنائز، مرجع سابق، ص 73
- ²¹ - مصطفى حجازي، لإنسان المهدور: دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ص 107.
- ²² - موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء، السعودية، فتوى برقم: 1707 وتاريخ 13/11/1397هـ، أنظر الرابط: <http://alifita.net/default.aspx?language=ar>.
- ²³ - طيبي غماري، التدين والصحة النفسية في الجزائر: تبريرا للعلاقة الايجابية بين الاسلام وعلم النفس، مجلة التشريع الاسلامي والاخلاق، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، 2014، ص 76.
- ²⁴ - النيسابوري مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، تح: بن محمد الفارابي أبو قتيبة، ط1، دار طيبة، 2006، ص 429.
- ²⁵ - الجوزية ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، مرجع سابق، ص 506.504.
- ²⁶ - أوليفيه روا، مرجع سابق، ص 143.
- ²⁷ - الأسدي محمد خير الدين، موسوعة حلب المقارنة، تن: محمد كمال، حلب، جمعية العاديات، دون طبعة، 2009، ص 98.
- ²⁸ - طه نضال فخري، مرجع سابق، ص 332.
- ²⁹ - توفيق بن عامر، التجربة الدينية بين الوحدة والتنوع، المركز الثقافي العربي، مؤمنون بلا حدود، ط1، 2013، ص 55.